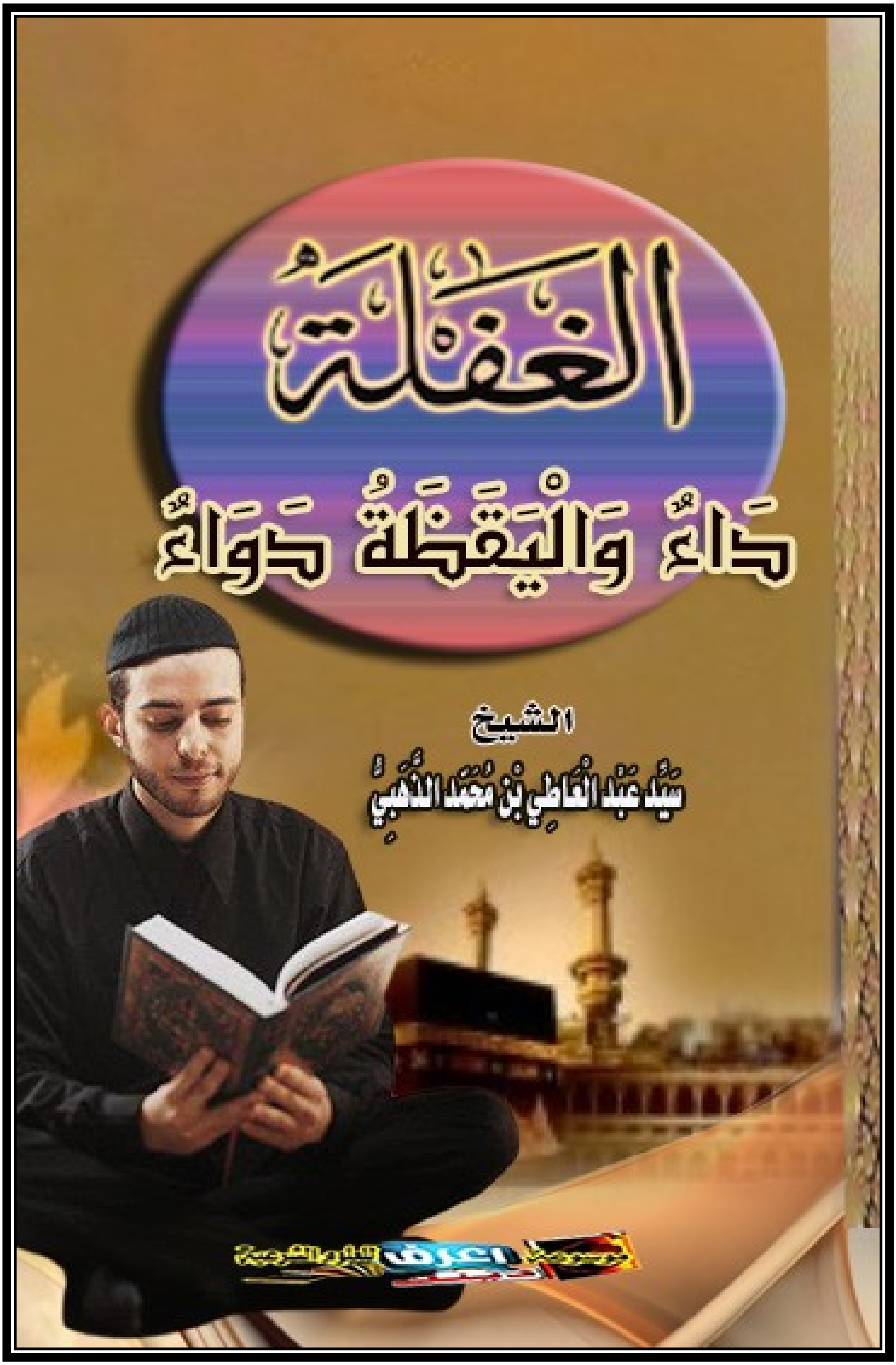

الغفلة
داء واليقظة دواء
الشيخ
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الغفلة

دَاءٌ وَالْيَقَظَةُ دَوَاءٌ

الشيخ

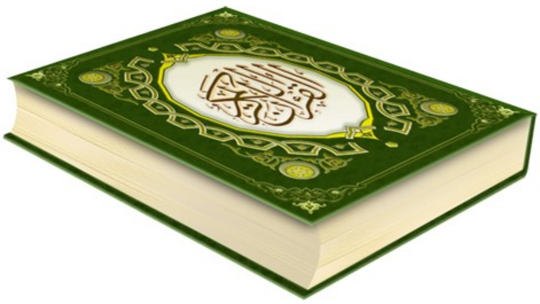
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

مقدمة الموسوعة

الْحَمْدُ للَّهِ وَحْدَهُ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

-يسر موسوعة اعرف ديتك للعلوم الشرعية أن تساهم بكل فخر بنشر انتاج شيخنا سيد عبد العاطي وانتاجه العلمي ، وهذه الرسالة (الغفلة داء واليقظة دواء) مهمة فالغفلة داء منتشر ووباء كاسح إلا من تدركه رحمة الله قبل أن يقع في هوة مالها من قرار،والرسالة بروابط مباشر في صفحات الموسوعة في مكتبة نور ميديا فاير لتكون في متناول طلبة العلم ونسأل الله القبول والإخلاص أنه ولي ذلك والقادر عليه...



مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لِله رَبِّ الأرْبَاب، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمِ الأحْزَاب، وَمُنَزِّلِ الْكِتَابِ، وَمُسَبِّبِ الأسْبَاب، وَخَالِقِ الْبَحْرِ العُبَابِ، بَثَّ فِي الْكَوْنِ آيَاتِ عَظَمَتِهِ لِيَتَدَبَّرَ وَيَتَّعِظَ أُولُوا الألْبَابِ، وَعَدَ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ عَظِيمَ الثَّوَابِ، وَتَوَعَّدَ الْمُعْرِضِينَ الْمُعَانِدِينَ بِأَلِيمِ الْعِقَابِ وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ظَهَرَ لِلأَعْيُنِ وَمَا عَنْهَا غَابَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الآلِ وَالأصْحَابِ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَاعْلَمْ يَا طَالِبَ النَّجَاةِ-رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ-أَنَّ الْغَفْلَةَ دَاءٌ عُضَالٌ وَمَرَضٌ فَتَّاكٌ،

يُفْسِدُ الْقُلُوبَ،وَيُهْلِكُ النُّفُوسَ،وَيَصْرِفُ الْعَبْدَ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ،لِذَا حَذَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ فِي كِتَابِهِ،وَحَذَّرَ مِنْهُ الرَّسُولُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي سُنَّتِهِ،وَحَذَّرَ مِنْهُ الصَّالِحُونَ وَالْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ فِي مُصَنَّفَاتِهِمْ وَمَوَاعِظِهِمْ،لأَنَّهُ دَاءٌ عُضَالٌ يَحْجُبُ الْعَبْدَ عَنْ رَبِّهِ ،وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَالِقِهِ،وَيَجْعَلُ فِي صَدْرِهِ ضِيقًا وَوَحْشَةً لَا يُزِيلُهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَالْأُنْسُ بِهِ، وَتَرْكُ الْغَفْلَةِ عَنْهُ،فَدَوَاءُ دَاءِ الْغَفْلَةِ فِي الْيَقَظَةِ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ مَنَازِلِ

الْعُبُودِيَّةِ كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي مَدَارِجِهِ،وَهِيَ انْزِعَاجُ الْقَلْبِ لِرَوْعَةِ الانْتِبَاهِ مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ،فَالْإِنْسَانُ فِي أَمَسِّ الْحَاجَةِ إِلَى رَحْمَةِ مَوْلَاهُ فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ الْغَفْلَةَ هِيَ الْحَائِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَحْمَةِ خَالِقِهِ،عِنْدَهَا يَسْتَيْقِظُ مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ شَوْقًا إِلَى نَعِيمٍ وَسَعَادَةٍ مَا بَعْدَهَا شَقَاء وَذَلِكَ بِالْيَقَظَةِ الَّتِي تَعْنِي الْأُنْسَ بِاللَّهِ وَالْبُعْدَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالزَّلَّاتِ.

-وَفِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْمُخْتَصَرَةِ الَّتِي عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ{الْغَفْلَةُ دَاءٌ وَالْيَقَظَةُ دَوَاءٌ}سَوْفَ نَتَعَرَّفُ عَلَى دَاءِ الْغَفْلَةِ وَخُطُورَتِهِ،

وَعَلَى مَنْزِلَةِ الْيَقَظَةِ وَثِمَارِهَا،هَذَا وَقَدْ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

الغَفْلَةُ داءٌ واليَقَظَةُ دَوَاء

أوَّلًا: مَفْهُومُ الْغَفْلَةِ

•أوَّلًا:مَفْهُومُ الْغَفْلَةِ:

-الْغَفْلَةُ الْمَقْصُودَةُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ هِيَ الْغَفْلَةُ عَنْ عِبادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِقَائِهِ سُبْحَانَهُ،بِأَنْ يَتِيهَ الْإِنْسَانُ فِي دُرُوبِ الْحَيَاةِ الشَّائِكَةِ

،وَيُسَخِّرَ كُلَّ طَاقَاتِهِ فِي الْعَمَلِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَيَنْسَى مَا خُلِقَ مِنْ أَجْلِهِ وَهُوَ عِبَادَةُ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ. لَا هَمَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَسْتَمْتِعَ بِمَلَذَّاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَلَا هَدَفَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَرْكُضَ وَرَاءَ شَهَوَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الزَّائِلَةِ. غَافِلٌ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، مُعْرِضٌ عَنْ عِبَادَةِ خَالِقِهِ، مُضَيِّعٌ للفَرَائِضِ، مُسْرِفٌ فِي الْمَعَاصِي، مُفَرِّطٌ فِي الْقُرُبَاتِ، مُكْثِرٌ مِنَ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ.

-قَالَ الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{وَالْغَفْلَةُ سَهْوٌ يَعْتَرِي الْإِنْسَانَ مِنْ قِلَّةِ التَّحَفُّظِ وَالتَّيَقُّظِ}.

-وَقِيلَ:{الْغَفْلَةُ مُتَابَعَةُ النَّفْسِ عَلَى مَا تَشْتَهِيهِ}.

-وَقِيلَ:{الْغَفْلَةُ تَرْكُكَ الْمَسْجِدِ وَطَاعَتُكَ الْمُفْسِدِ}.

-وَقِيلَ: {هِيَ إِبْطَالُ الْوَقْتِ بِالْبَطَالَةِ}.



•ثَانِيًا:التَّحْذِيرُ مِنَ الْغَفْلَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

-مِنَ الْمَعْلُومِ أنَّ خَرَابَ النُّفُوسِ بِاسْتِيلَاءِ الْهَوَى وَالشَّهْوَةِ، وَخَرَابَ الْقُلُوبِ بِاسْتِيلَاءِ الْغَفْلَةِ وَالْقَسْوَةِ، لِذَا حَذَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ دَاءِ الْغَفْلَةِ أذْكُرُ مِنْهَا:

(١)قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ}.(الأعراف:٢٠٥).

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{الذِّكْرُ لِلَّهِ تَعَالَى يَكُونُ بِالْقَلْبِ، وَيَكُونُ بِاللِّسَانِ، وَيَكُونُ بِهِمَا، وَهُوَ أكْمَلُ أنْوَاعِ الذِّكْرِ وَأحْوَالِهِ، فَأمَرَ اللَّهُ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا أصْلًا وَغَيْرَهُ تَبَعًا، بِذِكْرِ رَبِّهِ فِي نَفْسِهِ،أيْ: مُخْلِصًا خَالِيًا. {تَضَرُّعًا}أيْ:

مُتَضَرِّعًا بِلِسَانِكَ، مُكَرِّرًا لأنْوَاعِ الذِّكْرِ، {وَخِيفَةً} فِي قَلْبِكَ بِأنْ تَكُونَ خَائِفًا مِنَ اللَّهِ، وَجِلَ الْقَلْبِ مِنْهُ، خَوْفًا أنْ يَكُونَ عَمَلُكَ غَيْرَ مَقْبُولٍ، وَعَلَامَةُ الْخَوْفِ أنْ يَسْعَى وَيَجْتَهِدَ فِي تَكْمِيلِ الْعَمَلِ وَإصْلَاحِهِ، وَالنُّصْحِ بِهِ.{وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ }أيْ: كُنْ مُتَوَسِّطًا، لَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ، وَلَا تُخَافِتْ بِهَا، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا. {بِالْغُدُوِّ}أوَّلِ النَّهَارِ

{وَالآصَالِ }آخِرِهِ،وَهَذَانِ الْوَقْتَانِ لِذِكْرِ اللَّهِ فِيهِمَا مَزِيَّةٌ وَفَضِيلَةٌ عَلَى غَيْرِهِمَا.{وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ}الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأنْسَاهُمْ أنْفُسَهُمْ، فَإنَّهُمْ حُرِمُوا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأعْرَضُوا عَمَّنْ كُلّ السَّعَادَةِ وَالْفَوْزِ فِي ذِكْرِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ، وَأقْبَلُوا عَلَى مَنْ كُلّ الشَّقَاوَةِ وَالْخَيْبَةِ فِي الاشْتِغَالِ بِهِ، وَهَذِهِ مِنَ الْآدَابِ الَّتِي يَنْبَغِي للعَبْدِ أنْ يُرَاعِيهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَهِيَ الْإكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،خُصُوصًا طَرَفِي النَّهَارِ،مُخْلِصًا خَاشِعًا مُتَضَرِّعًا، مُتَذَلِّلًا سَاكِنًا، وَتَوَاطِئًا عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، بِأدَبٍ وَوَقَارٍ، وَإقْبَالٍ عَلَى الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ،

وَإِحْضَار لَهُ بِقَلْبِهِ وَعَدَمِ غَفْلَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاء مِنْ قَلْب غَافِلٍ لَاهٍ}.انْتَهَى.

-قَالَ عُمَيْرُ بْنُ حَبِيبٍ الْخَطْمِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:{الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ. قِيلَ: فَمَا زِيَادَتُهُ وَنُقْصَانُهُ؟! قَالَ:إِذَا ذَكَرْنَا رَبَّنَا وَخَشِينَاهُ فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، وَإِذَا غَفَلْنَا وَنَسِينَا وَضَيَّعْنَا فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ}.(أخرجه عبد الله بن أحمد في "السُّنَّة": ٦٢٤، وابن أبي شيبة :٣٠٩٦٣، والخلال في"السّنّة" :١٥٨٢. قال ابنُ تيميَّةَ في"مجموع الفتاوى":٢٢٤/٧: من وجوهٍ كثيرةٍ مشهورٌ).

-فَإِذَا غُذِيَ الْقَلْبُ بِالتَّذَكُّرِ، وَسُقِيَ بِالتَّفَكُّرِ، وَنُقِّيَ مِنَ الدَّغَلِ، وَزُكِّيَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَرَفَ التَّوْحِيدَ الْخَالِصَ مِنْ شَوَائِبِ الشِّرْكِ وَالْبِدَعِ وَالْخُرَافَةِ تَيَقَّظَ مِنْ مَرَاتِعِ الْغَفَلَاتِ، وَنهَضَ مِنْ مَسَاقِطِ الْعَثَرَاتِ.

-وَمَنِ اسْتَحْكَمَتْ غَفْلَتُهُ عَظُمَتْ نَدَامَتُهُ، وَمَنْ طَالَتْ رَقْدَتُهُ دَامَتْ حَسْرَتُهُ، وَمَنْ ذَهَلَ عَمَّا شَأْنُهُ أَنْ يُذْكَرَ أَضَاعَ الْمُكْنَةَ وَفَوَّتَ الْفُرْصَةَ، وَمَنْ آثَرَ الْبَطَالَةَ فِي مَوْسِمِ الْأَرْبَاحِ، وَتَرَكَ الزَّرْعَ وَقْتَ الْبِذَارِ، وَمَشَى الْهُوَيْنَى وَقْتَ السِّبَاقِ، وَتَقَاصَرَ خَطْوُهُ فِي مَيْدَانِ التَّنَافُسِ كَانَ عَنِ الْخَيْرِ مَحْرُومًا، وَعَلَى تَفْرِيطِهِ مَلُومًا.

-وَالنَّفْسُ بِالشَّهَوَاتِ آمِرَةٌ، وَعَنِ الطَّاعَاتِ زَاجِرَةٌ، تَجُورُ إِذْلَالاً، وَتَغُرُّ مَكْرًا. وَمَنْ غَفَلَ عَنْ تَقْوِيمِ عِوَجِهَا، وَإِصْلَاحِ مَيْلِهَا وَسَيْرِهَا غَلَبَ عَلَيْهِ جَوْرُهَا، وَتَمَوَّهَ عَلَيْهِ غُرُورُهَا،قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي}.(يوسف:٥٣).

(٢)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍۢ مُّعْرِضُونَ}.(الأنبياء:١).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي تَفْسِيرِهَا:

{هَذَا تَعَجُّبٌ مِنْ حَالَةِ النَّاسِ، وَأَنَّهُ لَا يَنْجَعُ فِيهِمْ تَذْكِيرٌ، وَلَا يَرْعون إِلَى نَذِيرٍ، وَأَنَّهُمْ قَدْ قَرُبَ حِسَابُهُمْ، وَمُجَازَاتُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ وَالطَّالِحَةِ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ، أَيْ: غَفْلَة عَمَّا خُلِقُوا لَهُ، وَإِعْرَاض عَمَّا زُجِرُوا بِهِ. كَأَنَّهُمْ لِلدُّنْيَا خُلِقُوا، وَلِلتَّمَتُّعِ بِهَا وُلِدُوا}.انْتَهَى.

-فَأَهْلُ الْغَفْلَةِ سَاهُونَ لَاهُونَ، وَعَمَّا يُرَادُ بِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ مُعْرِضُونَ، لَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى، يَتَثَاقَلُونَ عَنْ أَدَائِهَا، وَيُؤَخِّرُونَهَا عَنْ وَقْتِهَا، وَيَتَخَلَّفُونَ عَنْ جَمَاعَتِهَا. هَذَا حَالُهُمْ مَعَ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ الْأَعْمَالِ وَأَفْضَلُهَا وَخَيْرُهَا.

-اتَّخَذُوا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا:{يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}.(النِّساء: ١٤٢)، يُعْرِضُونَ عَنْ مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَالْعِلْمِ وَالْوَعْظِ وَالْخَيْرِ، وَيُسَارِعُونَ إِلَى مَجَالِسِ اللَّغْوِ وَاللَّهْوِ، وَأَمَاكِنِ الطَّرَبِ وَالْغِنَاءِ، وَالرَّقْصِ وَالْعُرْيِّ وَالْفَحْشَاءِ، وَيَتَسَابَقُونَ إِلَى مَوَاطِنِ الْمُنْكَرِ وَالْفِتْنَةِ وَالْغَفْلَةِ.

-وَيَلُوذُونَ إِلَى الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَعْرِضُ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَتُبَاعُ فِيهَا الْخُمُورُ وَالْمُسْكِرَاتُ، وَتُرَوَّجُ فِيهَا الْحَشِيشَةُ الَّتِي تُنْتِنُ الْفَمَ، وَتُحْرِقُ الدَّمَ، وَتُفْسِدُ الْفِكْرَ، وَتُنْسِي الذِّكْرَ، وَتَجْعَلُ الصَّحِيحَ عَلِيلاً، وَالْعَزِيزَ ذَلِيلاً.

(٣)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍۢ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}.(مريم:٣٩).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي تَفْسِيرِهَا:{الْإِنْذَارُ هُوَ: الْإِعْلَامُ بِالْمُخَوِّفِ عَلَى وَجْهِ التَّرْهِيبِ، وَالْإِخْبَارِ بِصِفَاتِهِ، وَأَحَقُّ مَا يُنْذَرُ بِهِ وَيُخَوَّفُ بِهِ الْعِبَادُ، يَوْمُ الْحَسْرَةِ حِينَ يُقْضَى الْأَمْرُ، فَيُجْمَعُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ ، وَيُسْأَلُونَ عَنْ أَعْمَالِهِمْ.فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَاتَّبَعَ رُسُلَهُ، سَعِدَ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا،.وَمَنْ لَمْ يُؤمِنْ بِاللَّهِ وَيَتَّبِعْ رُسُلَهُ شَقِيَ شَقَاوَةً لَا سَعَادَةَ بَعْدَهَا، وَخَسِرَ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ.فَحِينَئِذٍ يَتَحَسَّرُ،وَيَنْدَمُ نَدَامَةً تَتَقَطَّعُ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَتَنْصَدِعُ مِنْهَا الْأَفْئِدَةُ، وَأَيُّ : حَسْرَة أَعْظَم مِنْ فَوَاتِ رِضَا اللَّهِ وَجَنَّتِهِ، وَاسْتِحْقَاقِ سَخَطِهِ وَالنَّارِ، عَلَى وَجْهٍ لَا يَتَمَكَّن مِنَ الرُّجُوعِ، لِيَسْتَأْنِفَ الْعَمَلَ، وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى تَغْيِيرِ حَالِهِ بِالْعَوْدِ إِلَى الدُّنْيَا؟! فَهَذَا قُدَّامَهُمْ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ لَا يَخْطُرُ بِقُلُوبِهِمْ، وَلَوْ خَطَرَ فَعَلَى سَبِيلِ الْغَفْلَة ، قَدْ عَمَّتْهُمُ الْغَفْلَةُ ، وَشَمَلَتْهُمُ السَّكْرَةُ، فَهُمْ لَا يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ، وَلَا يَتَّبِعُونَ رُسُلَهُ، قَدْ أَلْهَتْهُمْ دُنْيَاهُمْ، وَحَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِيمَان شَهَوَاتُهُمُ الْمُنْقَضِيَةُ الْفَانِيَةُ.

-فَالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، سَتَذْهَبُ عَنْ أَهْلِهَا، وَيَذْهَبُونَ عَنْهَا، وَسَيَرِثُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَيُرْجِعُهُمْ إِلَيْهِ، فَيُجَازِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا فِيهَا، وَمَا خَسِرُوا فِيهَا أَوْ رَبِحُوا، فَمَنْ فَعَلَ خَيْرًا فَلْيَحْمَد اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ}.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(٤٧٣٠)مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ،وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ،ثُمَّ يُنَادِي:يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ:

وَهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ. ثُمَّ قَرَأَ:{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ}، وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا {وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}.(مريم: ٣٩)}.



•ثَالِثًا:التَّحْذِيرُ مِنَ الْغَفْلَةِ عَلَى مَائِدَةِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ:

-وَرَدَتْ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْغَفْلَةِ عَلَى مَائِدَةِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١)مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٦٤٠٧)مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ}.

-ذِكْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِمَّا يُؤنِسُ الرُّوحَ وَالْقَلْبَ، وَيَرْزُقُ النَّفْسَ الطُّمَأْنِينَةَ، وَيُثَقِّلُ مَوَازِينَ الْعَبْدِ بِالْحَسَنَاتِ،وَيُنَجِّي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ صَاحِبَهُ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ، فَيَكْشِفُ ضُرَّهُ وَيُذْهِبُ غَمَّهُ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَّنَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-الْفَرْقَ بَيْنَ الْمُؤمِنِ الَّذِي يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَبَيْنَ مَنْ لَا يَذْكُرُهُ وَأَنَّهُ مِثْلُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ فِي نَفْعِهِ وَحُسْنِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ؛ فَشَبَّهَ الذَّاكِرَ بِالْحَيِّ الَّذِي تزَيَّنَ ظَاهِرُهُ بِنُورِ الْحَيَاةِ، وَإِشْرَاقِهَا فِيهِ، وَبِالتَّصَرُّفِ التَّامِّ فِيمَا يُرِيدُ، وَبَاطِنُهُ مُنَوَّرٌ بِنُورِ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ، كَذَلِكَ الذَّاكِرُ مُزَيَّنٌ ظَاهِرُهُ بِنُورِ الْعَمَلِ وَالطَّاعَةِ ، وَبَاطِنُهُ بِنُورِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ؛ فَقَلْبُهُ مُسْتَقِرٌّ، وَهُوَ إِنْسَانٌ سَلِيمٌ مُعَافًى؛ فَهُوَ يَنْفَعُ مَنْ حَوْلَهُ، وَمَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ يَحْيَا قَلْبُهُ، وَيَظْهَرُ أَثَرُ ذَلِكَ فِيهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ نَافِعًا لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بِخِلَافِ مَنْ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ كَالْجِيفةِ؛ لَا أَحَدَ يَقْرَبُهَا، وَلَا خَيْرَ فِيهَا، وَلَا نَفْعَ عِنْدَهَا، بَاطِلٌ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الْغَفْلَةِ عَنْهُ.

(٢)وَأخْرَجَ الْحَاكِمُ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي الْمُسْتَدْرَكِ بِرَقَمِ

(١٩٤٤)بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{اللَّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ من الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبنِ وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ ، وَالْقَسْوَةِ ، وَالْغَفْلَةِ ، وَالْعَيْلَةِ ، وَالذِّلَّةِ ، وَالْمَسْكَنَةِ . وَأعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْكُفْرِ ، وَالْفُسُوقِ وَالشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ ، وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ . وَأعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ ، وَالْبُكْمِ ، وَالْجُنُونِ ، وَالْجُذَامِ ، وَالْبَرَصِ ، وَسَيِّئِ الْأسْقَامِ}.

-وَفِي رِوَايَةٍ:{اللَّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ،وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ،وَالْهَرَمِ،وَالْقَسْوَةِ ،وَالْغَفْلَةِ،وَالْعَيْلَةِ،وَالذِّلَّةِ،وَالْمَسْكَنَةِ.

وَأعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْكُفْرِ ، وَالْفُسُوقِ وَالشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ ، وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ . وَأعُوذُ بِكَ من الصَّمَمِ،وَالبُكْمِ، وَالْجُنُونِ،

وَالْجُذَامِ،وَالْبَرَصِ ،وَسَيِّئِ الْأسْقَامِ}.

•وَلِلَّهِ دَرّ الْقَائِلِ:

-النَّاسُ فِي غَفَلَاتِهِمْ وَرَحَى الْمَنِيَّةِ تَطْحَنُ.

مَا دُونَ دَائِرَةِ الرَّدَى حِصْنٌ لِمَنْ يَتَحَصَّنُ.

يَا سَاكِنَ الْحُجُرَاتِ مَا لَكَ غَيْرُ قَبْرِكَ مَسْكَنُ

الْيَوْمَ أنْتَ مُكَاثِرٌ وَمُفَاخِرٌ مُتَزَيِّنُ.

وَغَدًا تَصِيرُ إلَى الْقُبُورِ مُحَنَّطٌ وَمُكَفَّنُ.

أحْدِثْ لِرَبِّكَ تَوْبَةً فَسَبِيلُهَا لَكَ مُمْكِنُ.

•وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ:

-انْتَبِهْ مِنْ كُلِّ نَوْمٍ أغْفَلَك

وَاخْشَ رَبًّا بِالْعَطَايَا جَمَّلَك.

تَابِعِ الْمُخْتَارَ وَاقْصِدْ نَهْجَهُ

فَهُوَ نُورٌ مَنْ مَشَى فِيهِ سَلَك.

ثِقْ بِمَوْلَاكَ وَكُنْ عَبْدًا لَهُ

إنَّ عَبْدَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا مَلِك.

جَدِّدِ التَّوْبَ عَلَى مَا قَدْ مَضَى

مِنْ زَمَانٍ بِالْمَعَاصِي أشْغَلَك.

خُذْ مِنَ التَّقْوَى لِبَاسًا طَاهِرًا

فَالتُّقَى خَيْرُ لِبَاسٍ يُمْتَلَك.

ذُلَّ وَاخْضَعْ وَاسْتَقِمْ وَاسْجُدْ لَهُ

مُخْلِصًا يَفْتَح بَابَ الْخَيْرِ لَك.

خُضْ بِحَارَ الْعُذْرِ فِي جُنَحِ الدُّجَى

لِكَرِيمِ بِالْعَطَايَا خَوَّلَك.

قُلْ بِذُلِّ: يَا رَحِيمَ الرُّحْمَا

يَا مُنَجِّي بِالْعَطَايَا مَنْ هَلَك.

هَبْ زَكَاةً وَصَلَاحًا وَهُدًى

لِعُبَيْدٍ مُذْنِبٍ قَدْ سَألَك.

لُذْتُ بِالْبَابِ فَحَاشَا أنْ أُرَى

تَعِسًا وَالْأمْرُ وَالتَّدْبِيرُ لَك.

نَجِّنَا مِنْ كُلِّ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ

يَوْمَ يَلْقَى الْعَبْدُ مَكْتُوبَ الْمَلَك.

هَبْ لَنَا السِّتْرَ وَلَا تَخْسِفْ بِنَا

يَا إلَهِي وَاعْفُ عَمَّنْ سَألَك.

يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ يَسِّرْ أمْرَنَا

وَاقْضِ عَنَّا مَا لِمَخْلُوقٍ وَلَك.

وَتَفَضَّلْ بِالْعَطَايَا كَرَمًا

أنْتَ مَوْلَانَا وَأوْلَى مَنْ مَلَك.



•رَابِعًا:الْيَقَظَةُ دَوَاءُ دَاءِ الْغَفْلَةِ:

•عَلِمْنَا فِي الْفَقَرَاتِ السَّابِقَةِ أَنَّ الْغَفْلَةَ دَاءٌ عُضَالٌ،وَفِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ نَتَعَرَّفُ عَلَى الدَّوَاءِ الشَّافِي-بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى-مِنْ هَذَا الدَّاءِ وَهُوَ الْيَقَظَةُ،يَقُولُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ: ١٣٨/١-١٣٩:{فَأَوَّلُ مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ الْيَقَظَةُ وَهِيَ انْزِعَاجُ الْقَلْبِ لِرَوْعَةِ الِانْتِبَاهِ مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ، وَلِلَّهِ مَا أَنْفَعَ هَذِهِ الرَّوْعَةَ، وَمَا أَعْظَمَ قَدْرَهَا وَخَطَرَهَا، وَمَا أَشَدَّ إِعَانَتَهَا عَلَى السُّلُوكِ! فَمَنْ أَحَسَّ بِهَا فَقَدْ أَحَسَّ وَاللَّهِ بِالْفَلَاحِ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي سَكَرَاتِ الْغَفْلَةِ فَإِذَا انْتَبَهَ شَمَّرَ لِلَّهِ بِهِمَّتِهِ إِلَى السَّفَرِ إِلَى مَنَازِلِهِ الْأُولَى، وَأَوْطَانِهِ الَّتِي سُبِيَ مِنْهَا.

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا

مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ.

وَلَكِنَّنَا سَبْيُ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَى

نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ.

فَأَخَذَ فِي أُهْبَةِ السَّفَرِ، فَانْتَقَلَ إِلَى مَنْزِلَةِ الْعَزْمِ وَهُوَ الْعَقْدُ الْجَازِمُ عَلَى الْمَسِيرِ، وَمُفَارَقَةُ كُلِّ قَاطِعٍ وَمُعَوِّقٍ، وَمُرَافَقَةُ كُلِّ مُعِينٍ وَمُوَصِّلٍ، وَبِحَسَبِ كَمَالِ انْتِبَاهِهِ وَيَقَظَتِهِ يَكُونُ عَزْمُهُ، وَبِحَسَبِ قُوَّةِ عَزْمِهِ يَكُونُ اسْتِعْدَادُهُ،فَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَوْجَبَتْ لَهُ الْيَقَظَةُ الْفِكْرَةَ وَهِيَ تَحْدِيقُ الْقَلْبِ نَحْوَ الْمَطْلُوبِ الَّذِي قَدِ اسْتَعَدَّ لَهُ مُجْمَلًا، وَلَمَّا يَهْتَدِ إِلَى تَفْصِيلِهِ وَطَرِيقِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ،

فَإِذَا صَحَّتْ فِكْرَتُهُ أَوْجَبَتْ لَهُ الْبَصِيرَةَ فَهِيَ نُورٌ فِي الْقَلْبِ يُبْصِرُ بِهِ الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي هَذِهِ لِأَوْلِيَائِهِ، وَفِي هَذِهِ لِأَعْدَائِهِ، فَأَبْصَرَ النَّاسَ وَقَدْ خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ مُهْطِعِينَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، وَقَدْ نَزَلَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ فَأَحَاطَتْ بِهِمْ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ، وَقَدْ نُصِبَ كُرْسِيُّهُ لِفَصْلِ

الْقَضَاءِ، وَقَدْ نُصِبَ الْمِيزَانُ، وَتَطَايَرَتِ الصُّحُفُ، وَاجْتَمَعَتِ الْخُصُومُ، وَتَعَلَّقَ كُلُّ غَرِيمٍ بِغَرِيمِهِ،وَلَاحَ الْحَوْضُ وَأَكْوَابُهُ عَنْ كَثَبٍ،وَكَثُرَ الْعِطَاشُ وَقَلَّ الْوَارِدِ، وَنُصِبَ الْجِسْرُ لِلْعُبُورِ، وَلُزَّ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقُسِّمَتِ الْأَنْوَارُ دُونَ ظُلْمَتِهِ لِلْعُبُورِ عَلَيْهِ، وَالنَّارُ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا تَحْتَهُ، وَالْمُتَسَاقِطُونَ فِيهَا أَضْعَافُ أَضْعَافِ النَّاجِينَ،فَيَنْفَتِحُ فِي قَلْبِهِ عَيْنٌ يَرَى بِهَا ذَلِكَ، وَيَقُومُ بِقَلْبِهِ شَاهِدٌ مِنْ شَوَاهِدِ الْآخِرَةِ يُرِيهِ الْآخِرَةَ وَدَوَامَهَا، وَالدُّنْيَا وَسُرْعَةَ انْقِضَائِهَا}.

•فَالْيَقَظَةُ هِيَ انْتِبَاهُ الْقَلْبِ مِنْ غَفْلَتِهِ وَاسْتِعْدَادُهُ لِلِقَاءِ رَبِّهِ بِالْعَزْمِ عَلَى التَّزَوُّدِ بِالطَّاعَةِ وَمُفَارَقَةِ كُلِّ مَانِعٍ وَمُعَوِّقٍ.

•وَالْيَقَظَةُ هِيَ أَوَّلُ مَفَاتِيحِ الْخَيْرِ، فَإِنَّ الْغَافِلَ عَنِ الاسْتِعْدَادِ لِلِقَاءِ رَبِّهِ وَالتَّزَوُّدِ لِمَعَادِهِ بِمَنْزِلَةِ النَّائِمِ؛ بَلْ أَسْوَأُ حَالاً مِنْهُ، وَبِحَسَبِ كَمَالِ انْتِبَاهِ الْعَبْدِ وَيَقَظَتِهِ تَكُونُ عَزِيمَتُهُ ، وَبِحَسَبِ قُوَّةِ عَزْمِهِ يَكُونُ اسْتِعْدَادُهُ، وَكُلَّمَا قَوِيَ الْإِيمَانُ وَتمَكَّنَ نُورُهُ مِنَ الْقَلْبِ ازْدَادَتْ حَالَةُ الْيَقَظَةِ، وَاسْتَنَارَ الْقَلْبُ بِرُؤْيَةِ طَرِيقِ الْهِدَايَةِ، وَلِلْيَقَظَةِ ثَلَاثَةُ أَرْكَانٍ:

(١) مُلَاحَظَةُ نِعَمِ اللَّهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، ثُمَّ مُشَاهَدَةُ عَظَمَتِهَا وَكَثْرَتِهَا وَتَنَوُّعِهَا.

(٢) مُطَالَعَةُ مَا سَبَقَ لِلْعَبْدِ مِنَ الْإِسَاءَةِ وَالتَّقْصِيرِ، ثُمَّ الاسْتِغْفَارُ وَالتَّوْبَةُ مِنْهَا، وَالاجْتِهَادُ فِي فِعْلِ الْحَسَنَاتِ.

(٣)الانْتِبَاهُ لِقِصَرِ الْعُمْرِ وَانْقِضَاءِ الأَيَّامِ، فَيَتَدارَكُ مَا فَاتَ، وَيَسْتَغِلُّ أَوْقَاتَهُ فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

•فَيَا أَهْلَ الْغَفْلَةِ الْيَقَظَةَ الْيَقَظَةَ فَمَنْ خَافَ الْوَعِيدَ قَصُرَ عَلَيْهِ الْبَعِيدُ، وَمَنْ طَالَ أَمَلُهُ ضَعُفَ عَمَلُهُ، وَكُلُّ مَا هُوَ ءَاتٍ قَرِيبٌ.

•إِنَّ رَبَّكُمْ لَمْ يَخْلُقكُمْ عَبَثًا وَلَمْ يَتْرُككُمْ سُدًا، فَتَزَوَّدُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ مَا تَحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا، فَالْأَجَلُ مَسْتُورٌ.

•تَمُرُّ الْجَنَائِزُ بِالنَّاسِ يُجَهِّزُونَهَا وَيُصَلُّونَ عَلَيْهَا وَيَسِيرُونَ خَلْفَهَا يُشَيِّعُونَهَا مَحْمُولَةً إِلَى الْبَرْزَخِ، فَتَرَاهُمْ يُلْقُونَ عَلَيْهَا نَظَرَاتٍ عَابِرَةً، وَرُبَّمَا طَافَ بِهِمْ طَائِفٌ مِنَ الْحُزْنِ يَسِيرٌ أَوْ أَظَلَّهُمْ ظِلَالٌ مِنَ الْكَآبَةِ خَفِيفٌ ثُمَّ سَرْعَانَ مَا يَغْلِبُ عَلَى النَّاسِ نَشْوَةُ الْحَيَاةِ وَغَفْلَةُ الْمَعَاشِ.

•يَاأَهْلَ الْغَفْلَةِ أعمَارُكُمْ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ، وَأَيَّامُكُمْ تَقُودُكُمْ إِلَى مَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ، كَيْفَ تُرْجَى الْآخِرَةُ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ أَمْ كَيْفَ تُرْجَى التَّوْبَةُ مَعَ الْغَفْلَةِ وَالتَّقْصِيرِ وَطُولِ الْأَمَلِ؟

•يَا أهْلَ الْغَفْلَةِ، هَذِهِ الدُّنْيَا كَمْ مِنْ وَاثِقٍ فِيهَا فَجَعَتْهُ؟ وَكَمْ مِنْ مُطْمَئِنٍّ إلَيْهَا صَرَعَتْهُ؟ وَكَمْ مِنْ مُحْتَالٍ فِيهَا خَدَعَتْهُ؟

وَكَمْ مِنْ مُخْتَالٍ أصْبَحَ حَقِيرًا؟وَذِي نَخْوَةٍ أرْدَتْهُ ذَلِيلًا؟ سُلْطَانُهَا دِوَلٌ -أيْ مُتَدَاوَلٌ لَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ-، وَلَا يَخْتَصُّ بِهِ أحَدٌ دُونَ أحَدٍ، وَحُلْوُهَا مُرٌّ، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، الْعُمُرُ فِيهَا قَصِيرٌ، وَالْعَظِيمُ فِيهَا يَسِيرٌ، وُجُودُهَا إلَى عَدَمٍ، وَسُرُورُهَا إلَى حُزْنٍ، وَكَثْرَتُهَا إلَى قِلَّةٍ، وَعَافِيَتُهَا إلَى سَقَمٍ، وَغِنَاهَا إلَى فَقْرٍ، دَارُهَا مَكَّارَةٌ، وَأيَّامُهَا غَرَّارَةٌ، وَلأصْحَابِهَا بِالسُّوءِ أمَّارَةٌ، الْأحْوَالُ فِيهَا إمَّا نِعَمٌ زَائِلَةٌ وَإمَّا بَلَايَا نَازِلَةٌ وَإمَّا مَنَايَا قَاضِيَةٌ، عِمَارَتُهَا خَرَابٌ، وَاجْتِمَاعُهَا فِرَاقٌ، وَكُلُّ مَا فَوْقَ التُّرَابِ إلَى التُّرَابِ.

•وَأهْلُ الْغَفْلَةِ لَا يَشْبَعُونَ مَهْمَا جَمَعُوا، وَلَا يُدْرِكُونَ كُلَّ مَا أمَّلُوا وَلَا يُحْسِنُونَ الزَّادَ لِمَا عَلَيْهِ قَدْ أقْدَمُوا، يَجْمَعُونَ وَلَا يَنْتَفِعُونَ، وَيَبْنُونَ مَا لَا يَسْكُنُونَ وَيَأمَلُونَ مَا لَا يُدْرِكُونَ :{ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}.(الحجر ٣).

•طَوِيلُ الْأمَلِ، يَبْنِي وَيَهْدِمُ، وَيَنْقُضُ وَيُبْرِمُ، وَيَقَدِّرُ فَيُخْطِئُ التَّقْدِيرَ، يَقُولُ وَيَفْعَلُ، وَيُخَطِّطُ وَيُدَبِّرُ، وَتَأتِي الْأمُورُ مُخَالِفَةً للتَّدْبِيرِ، يُسِيءُ فِي الاكْتِسَابِ وَيُسَوِّفُ فِي الْمَتَابِ ثُمَّ هَاهُوَ قَدْ تَمَّ أجَلُهُ وَانْقَطَعَ عَمَلُهُ وَأسْلَمَهُ أهْلُهُ وَانْقَطَعَتْ عَنْهُ الْمَعَاذِيرُ:{أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ(٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ(٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ}.(الشُّعراء: ٢٠٥-٢٠٧).

•فَيَا أهْلَ الْغَفْلَةِ:{أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللّذّاتِ} بِهَذَا أوْصَى نَبِيُّكُمْ مُحَمَّدٌ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ، كَلَامٌ مُخْتَصَرٌ وَجِيزٌ، قَدْ جَمَعَ التَّذْكِرَةَ وَأبْلَغَ فِي الْمَوْعِظَةِ فَمَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ حَقَّ ذِكْرِهِ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي عَمَلِهِ وَأمَانِيهِ وَلَكِنَّ النُّفُوسَ الرَّاكِدَةَ وَالْقُلُوبَ الْغَافِلَةَ كَمَا يَقُولُ الْإمَامُ الْقُرْطُبِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- :{تَحْتَاجُ إلَى تَطْوِيلِ الْوِعَاظِ وَتَزْوِيقِ الْألْفَاظِ}.

•أكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ {فَمَا ذَكَرَهُ أحَدٌ فِي ضِيقٍ مِنَ الْعَيْشِ إلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إلَّا ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ}.(حَسَّنَهُ الشَّيْخُ الْألْبَانِيَ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ:١٢١١).

•فَيَا أهْلَ الْغَفْلَةِ الْبِدَار الْبِدَار إلَى التَّوْبَةِ قَبْلَ الْفَوْتِ وَقَبْلَ الْمَوْتِ فَاللَّهُ تَعَالَى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ،قَالَ تَعَالَى:{وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}.(الشُّورَى:٢٥).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{هَذَا بَيَانٌ لِكَمَالِ كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَعَةِ جُودِهِ وَتَمَامِ لُطْفِهِ، بِقَبُولِ التَّوْبَةِ الصَّادِرَةِ مِنْ عِبَادِهِ حِينَ يُقْلِعُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَيَنْدَمُونَ عَلَيْهَا، وَيَعْزِمُونَ عَلَى أَنْ لَا يُعَاوِدُوهَا، إِذَا قَصَدُوا بِذَلِكَ وَجْهَ رَبِّهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بَعْدَ مَا انْعَقَدَتْ سَبَبًا لِلهَلَاكِ،وَوُقُوعِ الْعُقُوبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ.{ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ } وَيَمْحُوهَا، وَيَمْحُو أَثَرَهَا مِنَ الْعُيُوبِ،وَمَا اقْتَضَتْهُ مِنَ الْعُقُوبَاتِ، وَيَعُودُ التَّائِبُ عِنْدَهُ كَرِيمًا، كَأَنَّهُ مَا عَمِلَ سُوءًا قَطُّ،وَيُحِبُّهُ وَيُوَفِّقُهُ لِمَا يُقَرِّبُهُ

إِلَيْهِ.

-وَلَمَّا كَانَتِ التَّوْبَةُ مِنَ الْأَعْمَالِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي قَدْ تَكُونُ كَامِلَةً بِسَبَبِ تَمَامِ الْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ فِيهَا، وَقَدْ تَكُونُ نَاقِصَةً عِنْدَ نَقْصِهِمَا، وَقَدْ تَكُونُ فَاسِدَةً إِذَا كَانَ الْقَصْدُ مِنْهَا بُلُوغَ غَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَكَانَ مَحِلّ ذَلِكَ الْقَلْب الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، خَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: {وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ }.انْتَهَى.

•وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ أَبْوَابَ الْأَمَلِ عَلَى مَصَارِيعِهَا أَمَامَ التَّائِبِينَ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٣٥٤٠)

مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً}.

•وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٧٤٧)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

-:{لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ}.

-وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(٦٣٠٨)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ

يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا}، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ. ثُمَّ قَالَ:{ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ}.

•حَقًّا إِنَّ الْغَفْلَةَ دَاءٌ وَالْيَقَظَةَ دَوَاءٌ.

•اللَّهُمَّ اهْدِنَا وَاهْدِ بِنَا، وَيَسِّرِ الْهُدَي لَنَا، وَاجْعَلْنَا سَبَباً لِمَنِ اهْتَدَي، وَآخِرْ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ اللَّهُمُ وَسَلِّمْ عَلَي خَاتَمِ أنبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَي آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَي يَوْمِ الدِّين.

•كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللهِ

أَبُوأحمد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمَّدٍ الذَّهَبِيِّ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

تمت بحمد الله